

أضواء البيان

@ 26 @ ليجلب له ما لا يقدر على جلبه من النفع ، ويدفع عنه ما لا يقدر على دفعه من

الضر . كما قال تعالى : { الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ
اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } . .

وإذا علمت ذلك فاعلم أنه لما كانت الحكمة البالغة ، تقتضي أن يكون الضعيف الناقص
مقوماً عليه من قبل القوي الكامل ، اقتضى ذلك أن يكون الرجل ملزماً بالإنفاق على نسائه
، والقيام بجميع لوازمهن في الحياة . كما قال تعالى : { وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ
أَمْوَالِهِمْ } ومال الميراث ما مسحاً في تحصيله عرقاً ، ولا تسبباً فيه البتة ، وإنما
هو تمليك من الله ملكهما إياه تمليكاً جبرياً . فاقترضت حكمة الحكيم الخبير أن يؤثر الرجل
على المرأة في الميراث وإن أدليا بسبب واحد . لأن الرجل مترقب للنقص دائماً بالإنفاق على
نسائه ، وبذل المهور لهن ، والبذل في نوائب الدهر . والمرأة مترقبة للزوجة زيادة بدفع
الرجل لها المهر ، وإنفاقه عليها وقيامه بشؤونها . وإيثار مترقب للنقص دائماً على
مترقب الزيادة دائماً لجبر بعض نقصه المترقب حكمته ظاهرة واضحة ، لا ينكرها إلا من أعمى
بصيرته بالكفر والمعاصي . ولذا قال تعالى : { لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى
نُثَيَيْنِ } ولأجل هذه الحكم التَّيَّيِّنا بنا بها فضل نوع الذكر على نوع الأنثى في أصل
الخلقة والطبيعة جعل الحكيم الخبير الرجل هو المسؤول عن المرأة في جميع أحوالها . وخصه
بالرسالة والنبوة والخلافة دونها ، وملكه الطلاق دونها . وجعله الولي في النكاح دونها ،
وجعل انتساب الأولاد إليه لا إليها ، وجعل شهادته في الأموال بشهادة امرأتين في قوله تعالى
: { فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ مِنْكُمْ رَجُلٌ شَهِيدٌ فَلَا يَكُنْ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ
الشُّهَدَاءِ } . وجعل شهادته تقبل في الحدود والقصاص دونها ، إلى غير ذلك من الفوارق
الحسية والمعنوية والشرعية بينهما . .

ألا ترى أن الضعف الخلقي والعجز عن الإبانة في الخصام عيب ناقص في الرجال ، مع أنه يعد
من جملة محاسن النساء التي تجذب إليها القلوب . قال جرير : مع أنه يعد من جملة محاسن
النساء التي تجذب إليها القلوب . قال جرير : % (إن العيون التي في طرفها حور % قتلنا
ثم لم يحيين قتلنا) % % (يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به % وهن أضعف خلق الله أركاناً) %
.

وقال ابن الدمينية : وقال ابن الدمينية : % (بنفسه وأهلي من إذا عرضوا له % ببعض
الأذى لم يدر كيف يجيب) % % (فلم يعتذر عذر البريء ولم تزل % به سكتة حتى يقال مريب

